

الخطاطة السردية

عندما غادر التهامي المكتب الجهوي للقرض الفلاحي حاملا كمية من المال تكفيه للتغلب على مشاكل الحرث لهذه السنة أحس أن هناك من يتعقبه . وعندما انتهى إلى الطريق الطويلة تيقن أنه تماما في خطر ، وأنه لن يستطيع الإفلات من هؤلاء الذين يترصدونه عن بعد ، فهم يحافظون على مسافة معينة يتركونها بينهم وبينه ، إذ كلما توقف عن السير للتعرف عليهم كانوا يتوقفون هم أيضا . ولذا أخذ يفكر في طريقة تنجيه من هؤلاء اللصوص ، خاصة وأن الليل سيداهمه وهو ما يزال في الطريق. وانتهى به التفكير إلى المبيت عند أحد يعرفه ، وفعلا اتجه إلى الجيلاي يعرض عليه مشكلته ويطلب منه أن يقضي ليلته عنده . ورحب الجيلاي به وفي نيته أن يفوز بالمال لنفسه . وعندما تقدم الليل أقفل الباب على التهامي ، وخرج ليبعد ال**** عن المنطقة حتى لا يترك أثرا لجريمته . ولما شاهد اللصوص رجلا يمتطي****ا ويغادر مسكن الجيلاي اعتقدوا أنه صاحبهم ، فما أن ابتعد قليلا عن البيت حتى أقبلوا نحوه ، وقتلوه . وفي الصباح كان التهامي يقطع المسافة التي ستوصله إلى حقله، وهو في مأمن من كل لص ..

محمد ابراهيم بوعلو ، 50 أقصوصة في دقيقة .

الصفحة 142 من كتاب التلميذ إذا تأملنا نص الانطلاق سنجد أنه يتألف من مجموعة من العناصر (مواد خام) هي :

– الأحداث : مغادرة التهامي لمكتب القرض الفلاحي ومعه كمية من المال ، إحساسه بتعقب اللصوص له وتأكده من الخطر الذي يحرق به ، اهتدائه إلى فكرة المبيت عند الجيلاي ، محاولة الجيلاي الغدر به ، ومقتله على يد اللصوص ..

– الشخصيات : التهامي والجيلاي واللصوص
– الفضاء :

المكان : مكتب القرض الفلاحي ، الطريق ، بيت الجيلاي ، الحقل .

الزمان : النهار ، المساء ، الليل ، الصباح .

إذا نظرنا إلى كل حدث على حده ، وأخذناه بمعزل عن باقي الأحداث يغدو دون قيمة إذ لا يعني شيئا ..

كذلك إذا نظرنا إلى الأحداث حتى في ترابطها بمعزل عن الشخصيات ، نجدها لا تعني شيئا .. وكذلك حين نعزلها عن الفضاء ..

يتبين أن هذه العناصر ليست لها قيمة في حد ذاتها وأنها تستمد هذه القيمة من تعالقاتها وترابطها في ما بينها ، وهذا التناسق هو ما يجعل منها قصة قابلة للفهم ..

نستنتج أن الجنس السردى يتألف من مستويين :

المتن الحكائي : وهو المادة الخام (الأحداث ، الشخصيات والفضاء) قبل أن يسردها سارد أي قبل تصنيعها .. وهذا المستوى يشكل مادة لا وجود لها إلا على المستوى النظري ..

المبنى الحكائي : وهو كيفية تنظيم المادة الخام وجعلها قابلة للفهم (الاستهلاك) .. ويدخل في هذا

المستوى :

- السارد ونوع الرؤية ،

- النمط السردى (متسلسل ، متداخل ، تناوبي)

- نمط الوصف ، والحوار.

المستوى الثاني هو ما يجعل المستوى الأول مقبولا وقابلا للفهم ، وهو ما يمنح قيمة إلى كل عنصر فيه ، ويتضمن طرائق التعامل مع الخطاطة السردية ، وتدخل ضمنها كل تقنيات السرد ..

الخطاطة السردية إذن هي البناء والشكل الذي يستوعب المادة الخام ..

لنعد إلى نص الانطلاق لمعرفة كيفية انتظام الأحداث والشخصيات والفضاء في نسق يجعل منها قصة قابلة للفهم ..

نلاحظ أن كل شخصية تتحرك ضمن دائرة فعل محددة :

التهامي يريد أن ينجو بماله لذلك يقرر المبيت عند الجيلاي وفي الصباح يمضي إلى حقله ،

الجيلاي ينوي الغدر بالتهامي ويحاول إبعاد ال**** فيقتل على أيدي اللصوص

للصوص يتربصون بالتهامي ويقتلون الجيلاي عن طريق الخطأ ..

نلاحظ أن أي فعل من أفعال شخصية ما لا يمكن دمجها في دائرة فعل شخصية أخرى لأنه لن ينسجم معها ..

لكن دوائر الأفعال هاته تتفاعل مع بعضها وتتجزئ نفسها وتتطور من خلال هذا التفاعل المؤطر بأزمنة وأمكنة هي الساحة التي تقع فيها ..

لنعد إلى نص الانطلاق ونتابع هذه الأفعال في تفاعلها من البداية إلى النهاية ..

إذا نحن نتبعنا مسار التهامي باعتباره بطل القصة سنجد أنه قد مر بخمس مراحل هي :

- التهامي يغادر مكتب القرض الفلاحي ومعه مال يطمئن به على الحرث ..

إلى حدود هنا ، ليست هناك مشكلة (- أزمة) لدى التهامي .

- التهامي يحس بأن أحدا يتعقبه ،

هنا بداية مشكلة (بداية أزمة)

- التهامي يتيقن تماما أنه في خطر عندما انتهى إلى الطريق الطويلة ..

هناك مشكلة (+ أزمة) لدى التهامي وعليه أن يتخلص منها

- التهامي يقرر المبيت عند الجيلاي

هنا بداية حل المشكلة (الأزمة) وإن كان الجيلاي يضمم الغدر بالتهامي ..

- مقتل الجيلاي على أيدي اللصوص وذهاب التهامي أمنا إلى حقله ..

الملاحظ من خلال تتبع مسار التهامي أنه مر بخمس وضعيات يتحكم في ترابطها منطق التتابع السببي والزمني والمنطقي ..

في ا نجد تعريفا بالتهامي من حيث نيته وما يحمل معه وكأنها تجيب عن الأسئلة التالية :

من ؟ = التهامي ..

ماذا ؟ يحمل معه مالا و ينوي الحرث ..

أين ؟ = في الطريق إلى الحقل

هذه المرحلة يصطلح عليها بوضعية البداية (التوازن ا état initial .)

في ب نجد حدثاً طارئاً هو تعقب اللصوص للتهامي يحول وضعية التوازن السابقة إلى بداية اختلال .. وكأنها تجيب عن السؤال التالي :

ماذا طراً ؟ = تعقب اللصوص للتهامي ..

هذه المرحلة يصطلح عليها بالعنصر المخل (اختلال التوازن) *élément perturbateur* .

في ج نجد التهامي في أزمة عليه الخروج منها وكأنها تجيب عن السؤال :

ماذا ؟ = خطر اللصوص .. هذه المرحلة يصطلح عليها بوضعية الوسط (اختلال التوازن) *le noeud*

noeud

في د نجد التهامي يلجأ إلى المبيت عند الجيلاي كحل للأزمة .. وكأنها تجيب عن السؤال :

ما هو الخيار ؟ = المبيت عند الجيلاي .

هذه المرحلة هي : عنصر الانفراج الممهد للنهاية (عملية إعادة التوازن)

في ه نجد انصراف التهامي إلى حقله أماناً ، وكأنها تجيب عن السؤال :

ماذا أخيراً ؟ = نجات التهامي وانصرافه إلى حقله ..

هذه المرحلة هي وضعية النهاية (التوازن ب) . وهي التي تختزل محكي النص ومغزاه لأن كل

الوضعيات تمهد لها وتصب فيها .

هكذا يمكن رسم الخطاطة إذن :

ا سبب في ب/ب نتيجة ل ا وسبب في ج/ج نتيجة ل ب وسبب في د/د نتيجة ل ج وسبب في ه/ه

نتيجة ل د

الأحداث تتعاقب سببياً ، وتتعاقب زمنياً لأن السبب قبل النتيجة ، و منطقياً إذ إن لكل سبب نتيجة

ولكل نتيجة سبب ..

إن تقسيم الأفعال (الأحداث) إلى دوائر وإسناد كل دائرة لشخصية من الشخصيات الثلاث واختيار

السرد التعاقبي هو ما أكسب عناصر المتن الحكائي تناغمها الذي بدونه تبقى غير قابلة للفهم

والتأويل ..

نستنتج من هذا كله أن لكل نص سردي بما في ذلك القصة القصيرة جداً خطاطته التي بدونها لا

يمكن وصفه بالسرد ..

منقول